قرطاس

■ أحمد عبد الحسين

سيـرك مملّ

العراقيّة قاطعتْ، العراقيّة عادتْ، قبل أن يتاح لنا . نحن المواطنين المساكين . أن نسأل عن سببٍ مقاطعتها الحكومة والبرلمان، عادتْ العراقيّة فأهلاً وسهلاً، لكنْ .. هل متاح لنا الآن أن نسأل: لماذا عادتْ؟. هل يحقّ لنا أن نفهم ما يجري؟ نحن الذين انتخبنا أناساً ليكونوا ممثلينا في الجهازين التشريعيّ والتنفيذي، من حقنا أن نسأل لمَ شغلنا هؤلاء الأباطرةُ طوال سنوات بمعارك جانبية عطّلت الدولة وأعطت الحكومة "غير المباليةً أصلاً" ألفَ عذر وعذر لَتبرير تقاعسها؟

ما الذي كسبناه من صراع الديكة هذا؟ منذ سنوات ونحنٍ مشاهدون سلبيون لمسرحية تتوزع فيها الأدوار عشوائياً بحيث لا تعرف من هو البطل فيها ومن هو الكومبارس، أين المنقذ وأين الشرير، وما المغزى من الصراع؟ الأنكى من ذلك أن المسرحية يمكن أن تكون كوميدية . بدلالة التهريج الكبير الذي يمارسه "أبطالها" . لولا أن آثارها تفوق التراجيديا لتصل حدود الدموية. كوميديا سياسيينا بل تهريجهم كان يمكن أن يكون ممتعاً لولا أنه يترجم تلقائياً إلى دم ودموع، إلى عبوات ناسفة وسيارات مفخخة تعصف بنا نحنً المشاهدين المجبرين على رؤية ممثلين غلاظ القلوب يرتجلون حواراتٍ وحشية ملؤها الطائفية والحقد، ونحن يقطع بعضنا أوصالَ بعض.

غضبَ المالكيُّ على الهاشميّ فحبسنا أنفاسنا واستنزفنا وقتاً وأعصاباً وانشغلنا ولم يعد لنا همّ إلا تتبّع أنبائهم، ثم زعل علاوي على العملية السياسيّة فطلقها فعشنا أيامنا وبتنا لياليناً فاغري الأفواه أمام شاشات التلفزيون نستمع إلى شتائم الزوجين المتخاصمين ونرى نشر غسيلهما القذر على الملأ، ونترقب بفضول محاولات أهل الخير من إيرانيين وأميركان للإصلاح بينهما.

أين نحن من كلّ ذلك؟ والله يا سادتي لقد نسينا . في خضم الأحداث المتلاحقة لهذه المسرحية التافهة . أننا بشر أحياء لنا حيواتنا الخاصة واهتماماتنا، لنا بيوت وزوجات وأطفال، لبعضنا أعمال يجب أن يؤديها، أنستنا المسرحية التهريجية غير الممتعة أننا نفتقد الأمن والكهرباء والطرقات المعبدّة.

سطلونا، أسكرونا، أفقدونا الذاكرة فنسينا أن بغداد في ظل حكمهم أسوأ مدينة للعيش في الكون، وأن دولتنا تنحدر لتكون دولة بوليسية "التعبير ليس لي بل لهيومن رايتس ووتش، "، ألهونا عن رؤية أن العراق تتحكم به إيران "التعبير ليس لي بل للسيد المبجل سليماني"، أنسونا أنفسنا، نسينا ضرورة أن يغضب الإنسان حينما تهان كرامته، ضرورة أن نحتجّ، أن نبادل لا مبالاة السياسيين بلامبالاة مثلها، أن ننساهم ونهملهم ونخرج من هذا المسرح الذي يصرّ على تقديم أعمال تجارية هابطة.

لنخرجْ. يا إخوتي المواطنين العراقيين الذين تشكلون جمهور هذا السيرك السياسيّ، اخرجوا من القاعة، اتركوا المهرجين الحزانى وحدهم يتنازعون على ما لا نفهمه، على مكتسبات شخصية مغرقة في الضآلة والضحالة. اهجروا المسرح، قفوا أمام أبوابه واغضبوا لأنفسكم، لضياع وقتكم في مشاهدة عرضٍ بائس كهذا:

قاطعَتِ العراقية .. عادتِ العراقية . عاد الزوج إلى بيت الطاعة، التقط صوراً مع زوجته، لعب مع الأولاد وفرح الجميع وعاشوا عيشة سعيدة.

الـــثـــورة كـمـمـارسـة مـرحـة

■ د. يوسف محمد بناصر

باحث ومدوّن مغربي

يبدو أن الأنظمة العربية أصبحت عتيقة وقابلة للاحتراق، فالثورة فيها تشتعل كالنار في الهشيم، واشتعالها بهذه السرعة وتحقيقها في نفس الوقت هذه المكاسب المبهرة، يجعل المرء متفاجئا مما تبديه الشعوب من استماتة وروح تحررية، بل مما كانت تخفيه الأنظمة الاستبدادية من هشاشة وضعف وترهل، وهذه الصفات الأخيرة، قد تكون صفات نفسية لصيقة أيضا بالشخصيات الحاكمة بكل تفاصيلها، فلا تخفي هذه المظاهر إلا الألبسة الغالية الثمن التي يرتديها ببعض رؤساء الدول العربية أو "الماكياج" الذي يظهرهم أصغر من سنّهم الحقيقية، وهو ما يلاحظه الجمهور العربي عموما، وأكاد أجزم أن غالبية الناس ينتظرون تلك الصورة المفاجأة التي سيظهر عليها كل مستبد مخلوع، فبعد كل سقوط لنظام ما، يتغير شعر الرئيس من أسود داكن إلى أبيض ناصع أو مختلط، وهذا التغير ليس طارئا فهو لم يحدث لحظة الثورة بل كان شيئا يخفيه هؤلاء عن شعوبهم، لكي يستبدوا بالسلطة ويظهروا على أنهم في عز شبابهم،يستحقون منصب الحاكم، ولو بلغوا العقد السبعين والثمانين، فمنذ سقوط صدام حسين وظهوره المهين على الشاشات العالمية بشعر أبيض وبلحية كثة إلى سقوط العقيد القذافي وظهوره بوجه وشعر غير الذي عهده به المواطن العربي والمشاهد عموما، رُددت الكثير من النكت الساخرة من الصور المزيفة للزعماء العرب. حتى ان بعض المواطنين العرب من كثرة تقديسهم قادتهم لم يقدروا بعد على تصور أو تصديق أن شخصية الزعيم/الرئيس شخصية إنسانية تمتلك من المميزات والخصائص الإنسانية الطبيعية الشيء العادي، قد يعتريها الترهل والشيخوخة والمرض والنسيان والضعف..، بل إن أغلب الناس يسرحون بخيالهم وتقاذفاتهم الذهنية بعيدا وهم يرسمون ملامح غرائبية لكل شخصية ارتبطت بالحكم، وها هم اليوم يكتشفون أن خيالهم مارس عليهم بدوره التزييف والابتذال كما مارسه عليهم الحكام، فبعدما علموا أن كل تلك الادعاءات عن قوة وجمال وشباب ورقة وأناقة الحاكم هي مزيفة وأنهم خدعوا فيه، بدؤوا يهزؤون به ويبدعون النكت ويتبادلون الأقاويل الساخرة والمرحة عن بعض أسرار هذا الزعيم أو ذاك، التي كانت مستورة وظهرت بمجرد نجاح الثورة.

كما كان من المجازفة الحديث -إلى وقت قريب- عن مرض الزعيم أو القائد، فالقادة في الوطن العربي لا يمكن أن يعتريهم المرض أو الخطأ والعجز، أو هكذا تعتقد الدوائر الأمنية والرسمية المحيطة بأسرار الحكام، فكلما تسرب خبر مرض أحد القادة العرب أسرعت الدوائر الرسمية إما لطمأنة الشعوب أو إلى تغريم وتوبيخ ناشر الخبر وقد يتم إغلاق الصحيفة، أما اليوم فقد تسربت أسرار شخصية كثيرة عن القادة خصوصا منهم الذين تمت الإطاحة بهم، وبدأ المواطن العربي يروي فضوله، كما اكتشف البعض منهم مدى سذاجة اعتقاده في قوة الحاكم، فانتقم منه بنشر أخبار مبتذلة ونكت ساخرة.

إذا كانت الثورة حررت التونسيين والمصريين والليبيين من الاستبداد، فإنها حررت كذلك ابتساماتهم ومخيالهم وإبداعاتهم. لقد جعل "الربيع العربي" الضحك والكلمة والغناء والسخرية مجالات محررة، وفك عقدة اللسان والشفتين والعقول..، فأصبح من الممكن أن نسخر من حكامنا ونبدع رسومات كاريكاتورية لهم ونكتب عنهم النكت والمقالات النقدية ونخوض في أغلب خصوصياتهم، وأتساءل هل هذه فرصتنا لتفكيك قيم الاستبداد وتحرير الضمائر والعقول والنفوس من الخوف والاستعباد؟

لنحاول مرة أخرى تبسيط فكرة المرح في ظل الثورة بشكل أفضل، كثيرا ما تحدث المفكر دولابسي في كتابه: "العبودية المختارة" عن الشعوب الجاهلة التي تمتنع عن الحرية وتتلذذ بالاستعباد، لمجرد أنها لا تستطيع تصديق أنها قادرة على التحرر، اليوم فكت طلاسم الحرية في البلاد العربية وصدق الناس قدرتهم على صناعة المعجزة فحرروا أنفسهم بأنفسهم، كما اكتشفوا أنهم هم الذين يصنعون الخوف وهيبة الأنظمة كما يصنعون الخبز، فكان من السهولة بمكان أن يخرجوا بشكل نشيط في تظاهرات تطالب بإسقاط الاستبداد والأنظمة، فوازنوا بين إرادة التحرر و إرادة الحياة.

أغاني الثورة وأشعارها ورسوماتها ونكاتها ورقصاتها وحفلات الزواج التي أقيمت في خضم مسيرات الاحتجاج كلها أشياء معبرة عن إبداع الناس وتماهيهم مع لحظة التحرر، فغالبا ما يتبادر تعريف الثورة في الذهن الإنساني إلى أنها سفك للدماء وصوت رصاص وقنابل ورائح برود، لكن "الربيع العربي" أثبت اليوم أن الثورة يمكن أن تكون مرحة أيضا، فهي أغان وزغاريد ورقص وزواج ورسم ومسرح و"تنكيت"، والدليل هو ظهور رموز وأسماء جديدة ولافتة ولوحات ساخرة في مختلف الميادين، ويحضر في ذهننا في مجال الغناء على سبيل المثال مغني الثورة السورية المقتول المرحوم إبراهيم قاشوش الذي ألهمته الثورة كلمات من مثل: "يالا ارحل يا بشار" و"بس اسمعوني" ومغني الثورة اليمنية ايوب العنسي ومحمد الاضرعي الذي أبدع أغاني مثل: "ياصحابي ليش الخصام" و"أنا حر" و"يا أخي دقيقة اسمع" والمغني المصري رامي عصام الذي له أغنية: "عيش حرية وعدالة اجتماعية" و"طاطي طاطي" و"الجحش قال للحمار" ومغني الراب المغربي معاذ الحاقد –الذي أطلق سراحه قبل أيام –والذي اشتهر مع حركة ٢٠ فبراير واشتهر من أغانيه: "المغاربة عيقوا" و"أغنية إذا الشعب يوماً أراد الحياة، ينوض يدوي على راسو باركة من السكات.."، لقد أجمعت جماهير غفيرة على كلماتهم فرددوها في ساحات وميادين التغيير المختلفة وآمنوا بأنها تعبيرات تخص أحلامهم ولحظتهم السعيدة، كما أنها رد على الخطب السياسية الرسمية بشكل رمزي. أما فن الرسم والكاريكاتير و"التنكيت" فالنصيب الأكبر كان من إبداع المواطن المصري الذي تمتع بخفة الدم طيلة فترة الثورة، وكان أكثر قدرة على تسخير روحه المرحة من أجل تحفيز الناس والتخفيف عن آلامهم، كما كانت رسالة للرد على "بلطجة" نظامهم المستبد الذي كبت على أنفاسهم، فشاهدنا مواطنين يحملون لافتات مكتوبا عليها على سبيل المثال: "ارحل يا عم خلي عندك دم"، "ارحل بقه عايز ادخل الحمام أو مرآتي عايزة تولد ابني عايز يروح للمدرسة"، "مكتوب ارحل بالهيروغريفي يمكن تفهم يا فرعون"، "رابطة نجاري مصر يسألون الأسطى مبارك ما نوع الغراء الذي تستخدمه؟"..إلخ.

اكتشفنا مع الأحداث المتوالية في الجغرافية العربية أن "الشعب العربي" لايزال قادرا على رسم مصيره في لحظات احتجاج سلمي وعصيان مدني، وأن من "الكوميديا السوداء" أن نجد زعماء يتوعدون بالانتقام في لحظة جنونهم وعنفوانهم، ثم يسقطون بعدها في أيدي الثوار من بني شعبهم فيطلبون منهم العفو والرحمة، والى الآن ما كانت الأخلاق السياسية غير الفاضلة للحكام، ولا تاريخهم الحافل بالظلم والتبذير والاستعباد تسمح للشعوب بأقل من السخرية والتشفي، أليسوا هم من استبد لسنوات بأحلام الناس بل سخروا في لحظة ارتباكهم السياسية والأمنية معاونيهم من "البلطجية والشبيحة والشمكارة.. "لتقتيل وتعذيب مواطنيهم دون رحمة أو شفقة؟

لقد كان كافيا لدى الشعوب العربية لتحقيق التغيير أن تتحرر إرادتهم ويؤمنوا بقدرتهم على صناعة تاريخ جديد، وأن يعتقدوا أنه لم يكن قدرا مقدرا عليهم بقاء الاستبداد والظلم والقمع أبد الدهر، بل الأصل دائما هو الحرية والعدالة والكرامة، كما تأكد أن التحرر كان مجرد مسألة وقت وإرادة، وأن انهيار جدار الخوف يشبه انهيار لعبة دومينو كبيرة، وأن الغضبة الشعبية تكون كغضبة طفل بريء أحسّ بأنه يهان طول الوقت، في الأخير كانت كلمات الثورة ممجدة للقيم الإنسانية والفضائل، وبالمقابل نسيت هذه الشعوب كلمات التوعد وخطابات زعمائها المرتجلة والمرتبكة بل سخروا منها، لقد مجدوا إرادة الحرية فانعتقوا من روح الجبرية والممارسات الأمنية والطلاسم الخرافية التي تدعي التحكم المطلق في قدر ومصير الجماهير إلى وقت قريب.

المـــــرأة والـــوظـــائـــف الـســـيـاديـة

■ صبيح الحافظ

خلق الله الإنسان وجعله خليفة في الأرض ، وكلمة الإنسان لاتعني الرجل فقط بل تعني الرجل والمرأة على السواء ، وبما أن الرجل قد تأهل لتحمل المسؤولية في قيادة المجتمع ، كما أن هذه المسؤولية نجدها في المرأة أيضا ، وقد حدثنا التاريخ القديم أن بلقيس كانت على رأس مملكة عظيمة ، وقد وردت قصتها في القرآن الكريم (حديث الهدهد مع النبي سليمان).

يذكر التاريخ أيضا أن زنوبيا (الزباء) ملكة تدمر كانت تحكم ثلاث دول هي:

حمير وسبأ وكهلان:

يقول الكسيس دونوكفيل في كتابة (الديمقراطية) إن تقدم الأمم والشعوب وغرس القيم النبيلة هو من نتاج اعتماد مبدأ (المساواة) والانفتاح على الآخر.

وفي عصرنا الحاضر نجد أن معظم دول العالم أخذت بمبدأ المساواة بكل الأحوال الاجتماعية وبالأخص المساواة بين الرجل والمرأة وان دستورنا الجديد نصت المادة (٢٠) منه على ما يأتي:

(للمواطنين رجالاً ونساء حق المشاركة في الشؤون العامة والتمتع بالحقوق السياسية بما فيها حق التصويت والانتخاب والترشيح).

إن صورة المرأة في المجتمع الغربي أخذت حقوقها كاملة في جميع المجالات بما فيها اطلاعها في تسنم المناصب القيادية العليا معتمدة على كفاءتها ومقدرتها ومؤهلاتها العلمية والسياسية والاجتماعية ..الخ .. وكمثال على ذلك إن اكبر دولة في العالم تدير شؤونها الخارجية امرأة (أميركا) وكذا في بريطانيا وفي فرنسا وزيرة الدفاع وفي ألمانيا فازت امرأة بمنصب المستشارية وهو أعلى منصب في الدولة .

قد أكون مغالياً عندما أضع مكانة المرأة العراقية بمستوى المرأة في الدول الغربية والأوروبية ولكن علينا النظر إلى دول أقل منا حضارة ووعياً وفيها نساء قد حصلن على مناصب قيادية ، ففي القارة السوداء إفريقيا (مع الاعتزاز والتقدير) فازت السيدة (ايلين جونسون سيرليف) بمنصب الرئاسة في ليبيريا ، وكذلك فازت بصورة باهرة ورائعة السيدة (ميشال باشلية) بمنصب الرئاسة في أميركا اللاتينية وأصبحت أول امرأة تتبوأ منصب رئيس الدولة في (تشيلي) وذلك من خلال الانتخابات الديمقراطية التي جرت هناك. ، ولا يفوتنا في هذا السياق فوز (٣) نساء بجائزة نوبل قبل أيام.

وإن ما يدهشنا حقاً في هذا السياق أن كلا من السيدة (رشيدة العلي) والسيدة (سمية علي رجاء) تقدمت كل منهما للترشح لمنصب رئاسة الدولة في جمهورية اليمن ضمن المرشحين الآخرين من الرجال على خلفية قرار الرئيس اليمني علي عبد الله صالح في بداية الأمر على عدم ترشيح نفسه لولاية قادمة (ما قبل أحداث الربيع العربي)..

نحن ندرك أن هناك صعوبات وعقبات تعترض تقدم المرأة عندنا لأسباب عديدة منها جمود القيم الاجتماعية التي تحدّ من تقدمها ومساواتها مع الرجل لتتولى المناصب القيادية في الأمور السياسية والإدارية والبرلمانية في الدولة، ومن الأسباب أيضا استئثار الرجل وأنانيته ليبقى هو على مكانته الفوقية ولكننا لا نعفي المرأة من تحمل المسؤولية أيضا ، إذ نعتقد أن عليها المطالبة بإلحاح وبجرأة لتأكيد ذاتها وعدم الرضا بما منح لها من هامش حقوقها الأساسية ضمن مبدأ المساواة كونها تمثل نصف المجتمع.

وأخيرا وليس آخرا إن المرأة العراقية جديرة بأن تتبوأ منصباً قيادياً لما لها من قدرات وكفاءات في جميع الأصعدة الثقافية والمعرفية والسياسية لو أعطيت لها الفرصة لتأكيد ذاتها وعدم وضع القيود التي تكبل المرأة في ممارسة حقوقها في جميع المجالات التي يطلع بها زميلها الرجل من خلال تسلمها احد المناصب القيادية الرئيسة في الوزارات والسفارات ورئاسة اللجان البرلمانية والمساهمة في سنّ القوانين وإقرارها في تلك اللجان.

كاريكاتير

■ عادل صبري

طـبـيـبٌ يـــداوي الـنـاس وهـــو عـلـيـلُ

■ محمد واني

كاتب كردي عراقي

بقدر ما يثير العراق في النفوس من حزن وأسى على الاحداث المؤسفة اليومية التي تجري فيه والمشاكل السياسية والاجتماعية التي تتفاقم باستمرار من دون أن تلوح في أفقه بارقة أمل ، بقدر ما تبعث المواقف السياسية المستهجنة لقادته ومسؤوليه الجدد على الضحك ولكنه ضحك كالبكاء ، ففي الوقت الذي تتوالى فيه المصائب على العراق من كل الجهات ويواجه خطر الانزلاق إلى أتون حرب أهلية طائفية حقيقية ، نرى هؤلاء القادة السياسيين يطلقون بكل استهتار وبرودة دم (وكأنهم على خشبة مسرح يمثلون إحدى مسرحيات صموئيل بيكيت العبثية) مبادرات لمعالجة مشاكل الآخرين ! فبينما يغوص البلد في مستنقع الأزمات العميقة التي تحتاج إلى معجزة سماوية لينجو منها ، نراهم يهبّون لمساعدة الآخرين في حل أزماتهم ! وكأن مبادراتهم "الوطنية" الكثيرة التي طرحوها قد نجحت في إعادة السلام والأمان والطمأنينة إلى ربوع بلادهم وقضت على الأزمات والصراعات الداخلية وأصبح العراق بفضل سياساتهم الحكيمة ومبادراتهم القيمة جنة ديمقراطية في المنطقة ، حتى يجرؤوا على طرح مبادرات أخرى لحل منازعات الدول وإحلال السلام فيها !

الحقيقة إن زعماء الكتل السياسية لم يكونوا يوما جادين في طرح مبادراتهم الكثيرة التي قدموها لحل الأوضاع الداخلية المتردية ولم يكن في نيتهم أبدا الالتزام ببنودها ، بدليل إنها فشلت ، ولم تطبق على ارض الواقع ، قدمت فقط للاستهلاك "السياسي" ومن أجل ألا يقال إن الكتلة المعينة لم تساهم بمبادرة "مودة يعني"، وما يتجرعه العراق اليوم من أحداث "دراماتيكية" متسلسلة وبخاصة الاحداث الساخنة الأخيرة بين دولة القانون والقائمة العراقية التي مازالت تتفاعل وتنعكس سلبا على العراقيين هو نتيجة عدم التزام الأطراف السياسية بمبادرة "أربيل" التي قدمها مسعود بارزاني بعد انتخابات عام ٢٠١٠ ..كما فشلت مبادرة بارزاني في انتشال العراق من محنه الكثيرة ، كذلك فشلت مبادرات أخرى طرحت خلال عام ٢٠١١ من قبل الأحزاب والكتل السياسية ، وإذا ما نظرنا إلى خارطة المبادرات المطروحة على الساحة السياسية العراقية نجد أن كل كتلة ساهمت وقدمت مبادرة ولم تحرم من هذا العمل الوطني المشرف بدءا بمبادرة طالباني ومرورا بمبادرة مقتدى الصدر التي سميت بميثاق الشرف و مبادرة السيد عمار الحكيم وانتهاء بمبادرة رئيس مجلس النواب "أسامة النجيفي"

ولم يكتف هؤلاء القادة بصياغة مبادرات فاشلة من هذا النوع ، بل قاموا بطرح مبادرات أخرى "فاشلة" للآخرين! تصور إنهم بعثوا بوفد رسمي رفيع المستوى لدمشق من اجل القيام بدور الوسيط للإصلاح بين المعارضة والنظام البعثي الفاشي الذي كان حتى وقت قريب يبعث بالموت الزؤام إلى العراقيين من خلال التفجيريين والمفخخين !

وعندما رفضت القوى المعارضة السورية مبادرتهم رفضا قاطعا ، وردوا على أعقابهم خائبين ، حاولوا التوسط لمرة ثانية بين الدولتين الأمريكية والإيرانية وعرضوا خدماتهم عليهما لمعالجة الصراع القائم بينهما ؟! مستغلين في ذلك علاقاتهم الطيبة مع الدولتين ! كما صرحوا بذلك .. ولكن تشاء الأقدار أن تفشل هذه المبادرة أيضا وتخيب ..

وكعادتهم في ترك القضايا الداخلية القابلة للانفجار في لحظة مثل أزمة الأراضي المتنازع عليها ومسألة النفط والغاز وقانون الأحزاب ومسألة الأقاليم الدستورية وقضايا أخرى تشكل تهديدا مباشرا على مستقبل العراق ووحدة أراضيه ، والتوجه إلى معالجة المشاكل الخارجية اتجهوا صوب البحرين هذه المرة ليقدموا لها وصفة طبية مجانية لمعالجة أمراضها "الطائفية" المستعصية !

مهما أظهر هؤلاء القادة نواياهم الحسنة فيما طرحوه من مبادرات فإنها لا تخرج عن احتمالين ؛ إما أنهم أخفقوا في ترتيب البيت العراقي وعجزوا تماما عن مواجهة أزماته الداخلية لذلك يحاولون تحقيق بعض النجاحات في الخارج ، أو إن مصالحهم تكمن في إثارة الأزمات وإشعال الفتن ، وكلما كانت الأزمات أكبر وأعمق وأعقد ، وجدوا أنفسهم فيها أكثر وضمنوا مناصبهم أكثر ... مرض نفسي مزمن ، أبعدنا الله عنه.